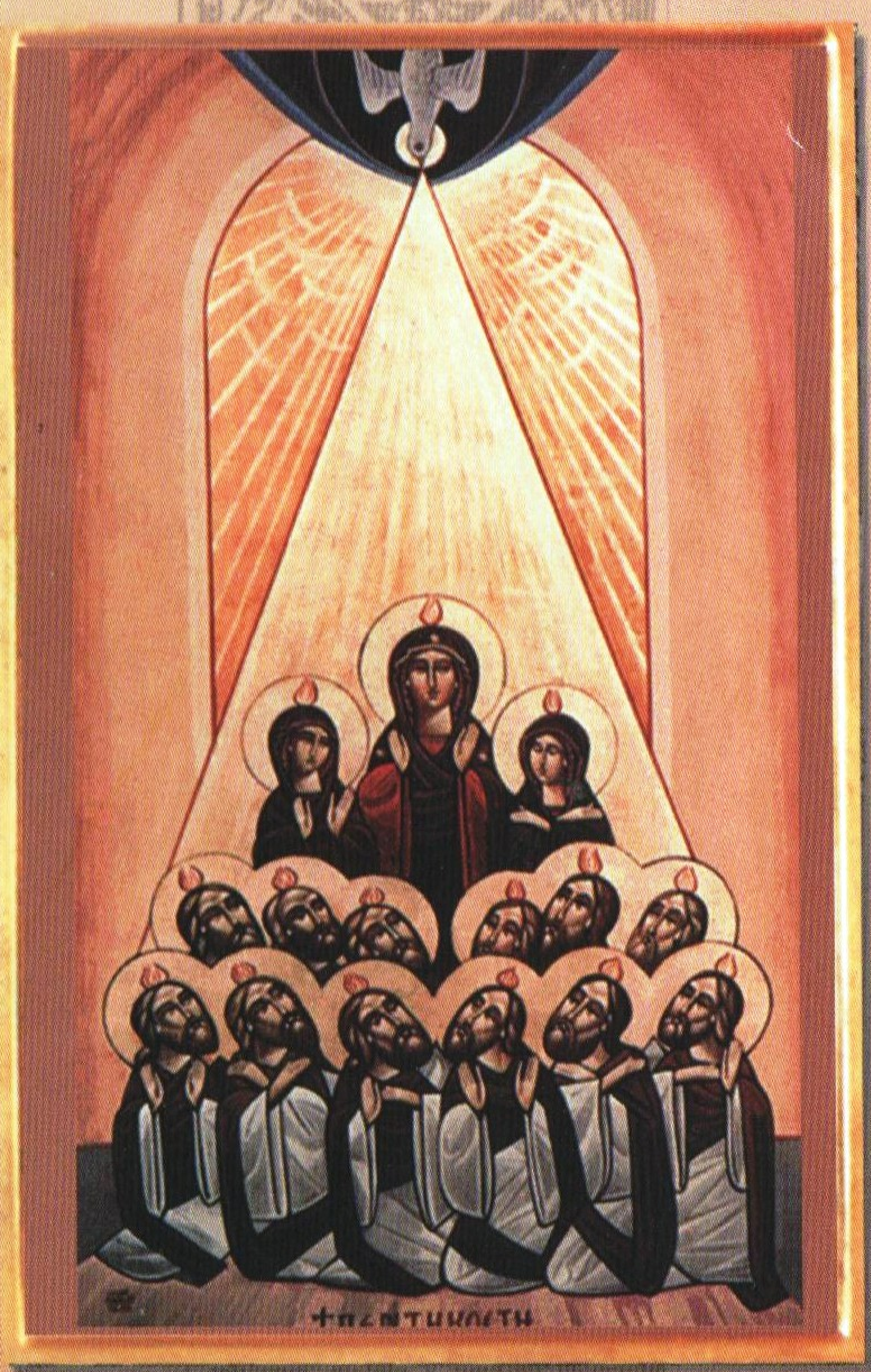


مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية
نصوص آبائية -١٦٠-





للقديس غريغوريوس النيسي

اسم الكتاب : الروح المُحييّ

اسم المؤلف : القديس غريغوريوس النيسي

اسم المترجم : د. سعيد حكيم يعقوب

الطبعة الأولى : مايو ٢٠١١م

تصميم الغلاف : جي سي سنتر، ١٤ ش محمود حافظ سفير مصر الجديدة ٢٦٣٣٧١٢٤

اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس ـ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة : ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكى محطة المحكمة مصر الجديدة ت: ٢٢٤١٤٠٢٣

E-mail : opcc2007@yahoo.com

Website: www.patristiccenter.org

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة

٢ش المدارس حدائق القبة ٢٤٨٢٧٠٧٤ ـ ٢٤٨٦٥٣٧٨.



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

في هذه العظة يهتم ق. غريغوريوس النيسي بالتأكيد علي أن الروح القدس هو واحد في الجوهر مع الآب والإبن، فهو كامل بذاته ومساوٍ في الكرامة والقوة والمجد للآب والإبن، ولا يحتاج إلي إضافة من أجل كماله. وإنتقد بشدة أولئك القائلين بأن الروح القدس مخلوق أو أنه يُصنّف ضمن الطبائع الخاضعة، ويتساءل كيف نصف حماقة أولئك الذين يحاولون تقسيم غير المنقسم، وكيف يتجرأون علي القول بأن الآب قد خلق الكون بواسطة الإبن فقط؟ فإن كان هذا صحيحًا فأين كان الروح القدس وقت عملية الخلق؟ وإن كان حاضرًا فهل كان واقفًا بدون فاعلية. ثم يتطرق ق. غريغوريوس النيسي لموضوع المسحة المقدسة، ويقول إن كان الإبن ملكًا بطبيعته، وإن كانت المسحة للملوكية، فمن المؤكد أن المسحة ليست شيئًا غريبًا بطبيعتها عن الملك. فإن كان الروح من الطبائع الخاضعة بحسب طبيعته، فكيف يتوافق مع المقام الملوكي الذي للإبن، الذي له هذه المسحة المقدسة؟ وكيف ينتمي للطبيعة الملوكية، ويكون خاضعًا في نفس الوقت. فمن غير الممكن أن تتحد المتناقضات فيما بينها، وأن يجتمع الخالق مع المخلوق في كيان واحد. أيضًا يقول ق. غريغوريوس النيسي إن كان الروح يحيّي مثلما أن الإبن أيضًا يحيي، مستشهدًا بما جاء علي فم الرب في إنجيل يوحنا "الروح هو الذي يحيي"، وأيضًا "الإبن أيضًا يحيي مَن يشاء"، فكيف لمن له القدرة أن يهب الحياة أن يكون مخلوقًا؟ وإن كان الإبن يُحيي والروح أيضًا يُحيي، فهذا

يؤكد وحدة الجوهر بينهما. ثم يقول هل هناك ما هو أفضل من عطية الحياة؟ إن الروح قدوس بالطبيعة تمامًا مثل الآب والإبن، وهو بذلك يحمل نفس الصفات التي للآب والإبن من مجد وكرامة وقداسة وقوة. ويُذكّر بأن المشرّع قد فرض إدانة لا تُغفر علي كل مَن يُجدف علي الروح القدس. لأن التجديف علي الروح يمتد ليشمل الثالوث القدوس. فكما أن النعمة تنتقل بلا تقسيم من الآب، بواسطة الابن والروح القدس إلى المستحقين، هكذا فإن التجديف يمتدّ بطريقة عكسية، من التجديف على الروح القدس إلي الابن وينتهي إلى الآب.

تمت الترجمة عن النص اليوناني المنشور في مجموعة آباء الكنيسة اليونانيين (ΕΠΕ) الصادرة في تسالونيكي ١٩٧٣، المجلد رقم٤.

عيد القيامة
٢٤ إبريل ٢٠١١م
٢٦ برمودة ١٧٢٧م

المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية

الروح المُحييّ
للقديس غريغوريوس النيسي

الروح واحد في الجوهر مع الآب والإبن:

قد لا يكون هناك إحتياج للرد على الكلمات الحمقاء التي ينطق بها الهراطقة. هذا من الواضح ما تريد أن تقوله الوصية الحكيمة لسليمان، الذي يوصي: " لا تجاوب الجاهل حسب حماقته لئلا تعدله أنت "[1]. غير أن الخطر يظهر عندما يبدو الكذب أقوى من الحقيقة، وأن تجد هذه (الأفكار) الفاسدة التي للهرطقة طريقها إلي عقول البسطاء، لتناقض الحقيقة وتُلوث كلمة الإيمان الصحيحة. لقد بدا لي أنه ليس هناك إحتياج لأجاوب أو أرد على حماقة الذين طرحوا هذه الآراء المنحرفة ضد التقوى، بل هدفي هو تصحيح الآراء الخاطئة. لأن وصية سفر الأمثال لا تتطلب الصمت، بل تصحح هؤلاء الحمقى وتدحض هذه الأفكار الغبية والخاطئة، التي تخص العقائد الإيمانية.

إذًا ما هو المنطق الذي يطرحونه؟ إنهم يتهموننا نحن الذين نمتلك الأفكار الأكثر تقوى ووقارًا عن الروح القدس، أننا نقترف كفرًا. إن كل ما نعترف به بخصوص ألوهية الروح القدس، فنحن في ذلك نتبع تعاليم آبائنا، وهذه التعاليم يفسرها هؤلاء الهراطقة كما يحلو لهم، ليبرروا إتهامهم لنا بالكفر. نحن نعترف أن الروح القدس واحد مع

---

[1] أم٢٦: ٤.

الآب والابن في الجوهر، وأن التمايز يتعلق بخاصيته الأقنومية فقط، وأنه منبثق من الآب، ومُرسل من الابن[٢]. وأنه لا يُشارك الآب في خاصية عدم الولادة، ولا الابن في خاصية كونه وحيد الجنس. إننا نعرف **الروح** في ذاته من خلال سمات خاصة به. ونعترف أنه في كل الأمور الأخرى، كما قلت، واحد مع الآب والابن.

وعلي الرغم من ذلك فإن المعارضين يدّعون أن **الروح** ليس له وحدة جوهر مع الآب والابن، وبسبب طبيعته المغايرة كما يزعَمون، فإنه يعتبر أقل في كل شئ، في القوة وفي المجد، وفي الرتبة، وفي الصفات والمعاني كافة التي تليق بالله بشكل عام. ولهذا يقولون إنه لا يشترك في المجد مع الآب والابن، وأنه غير مستحق للمساواة في الكرامة معهما، وأنه فقط يشترك في قوة بسيطة جدًا، تتعلق ببعض الأعمال التي تحددت له. وأنه لا علاقة له علي الإطلاق بقوة الخلق. وإذ هم يتمسكون بهذه الرؤية، فإنهم ينتهون إلى نتيجة مفادها، أن **الروح** لا يملك شيئًا من تلك الأمور التي تتعلق بالطبيعة الإلهية.

فما هو موقفنا نحن؟ لن أجيب على استفزازتهم هذه بشئ جديد، ولا بشئ من عندي، بل سأكتفي بشهادة الكتاب المقدس، والذي علّمنا أن **الروح القدس** الرب المحيّ هو إله. فإذا كانوا يقبلون ذلك، ولا يتعارضون مع كلمات الكتاب الموحى بها، فبماذا يجيب هؤلاء المستعدون دومًا لمحاربتنا، فمع أنهم لا يتشككون في الكتاب المقدس،

---

[٢] يو١٥:٢٦، غل٤:٦.

إلاّ أنهم يقاوموننا. نحن أيضًا لا نقول شيئًا آخر سوى ما جاء بالكتاب المقدس. وعندما نعترف أن الروح له طبيعة إلهية، لا نجد فرقًا بين ما نقوله وبين تعليم الكتب المقدسة. فكيف يُقال إن الطبيعة الإلهية السامية، قد إنقسمت في ذاتها، وأن العناصر المكونة لهذه الطبيعة متغايرة؟ فنحن نؤمن أن الطبيعة الإلهية بسيطة، وواحدة غير منقسمة، وغير مُركبة، ولا نلحظ فيما يتعلق بهذه الطبيعة، أن بها تعقيد وتركيب لعناصر متغايرة، ولأننا نُحسب شركاء الطبيعة الإلهية، فنكون بذلك قد قبلنا الكمال بالمعنى الإلهي. لأن العنصر الإلهي يحتوي على الكمال في كل كلمة تُعبر عن الصلاح. ولكن إذا كان (الروح) ينقص من حيث الكمال، فإنه سيصبح غير كامل، وبالتالي تنتفي عنه صفة الألوهة. لأنه كيف يمكن للمرء أن ينسب هذه التسمية، أي إله، لغير الكامل، والذي يحتاج إلى إضافة من شخص آخر؟

لنطرح بعض الأمثلة التي توضح هذه الرؤية من خلال معطيات مادية. فطبيعة النار تُثير إحساس الحرارة لكل مَن يلمسها، وذلك بكل الجزيئات التي تتكون منها، وهى لا تُعطى حرارة لجزء من الشعلة بأكثر قوة مما تعطيه لجزء آخر. إلا انه بقدر ما هى نار وتبقى هكذا نارًا، بقدر ما تؤكد طبيعتها الواحدة دون إنفصال جزء عن الآخر، وإن حدث وبردت النار في جزء منها، فلن تُسمى بعد نارًا في الجزء الذي برد منها، ومع تغير درجة الحرارة، تتغير التسمية. ينطبق ذلك أيضًا على الماء، والهواء، وكل ما يُعد من العناصر الطبيعية، فكل

عنصر من هذه العناصر له جوهره الخاص، ولا يقبل زيادة أو نقصانًا. أى أن الماء لا يمكن أن يُقال عنه ماءًا زائدًا أو ماءًا ناقصًا، طالما بقي على الدوام سائلاً، أي أنه يحتفظ بخاصية الماء طالما ظل سائلاً. فإذا تحول إلى مادة أخري، فلابد أن تتغير صفته. وأيضًا بالنسبة لبرودة الهواء، واتجاهه إلى أعلى، وخفته، تُلاحظ أنها متساوية في كل جزيئاته. أيضًا العنصر الكثيف والثقيل الذي يتجه إلى الأرض، لا تُنسب له صفة الهواء. هكذا الطبيعة الإلهية، فهي تُستعلن بالصلاح الكامل الذي في طبيعتها، وبالقداسة التي تملأ طبيعتها. أما إذا نُزعت إحدي تلك الصفات التي لها سمات الطبيعة الكاملة، فستنتفي عنها صفة الألوهية، كما لو كنا ننسب لجسم جاف صفة الماء، ونُسمي الشئ المجمد، نارًا، وأن نقول عن الشئ الجاف والجامد، هواءًا، هكذا لا يمكننا أن ندعو غير الكامل إلهًا.

مجد الروح القدس:

إذًا إن كان الروح القدس قد دُعيَّ إلهًا في الكتاب المقدس، وفي تعاليم آبائنا، فأى تبرير يمكن أن يقدمه أولئك الذين ينكرون مجد الروح القدس؟ فإن كان هو إلهًا، فيكون في كل الأحوال، صالحًا، وقويًا، وحكيمًا، ومُمجدًا، وأبديًا، وكل ما له علاقة بهذا السياق. إن الروح القدس بإعتراف الجميع هو بسيط، ولا يمكن لأحد أن يُعارض في هذا.

إذًا إن كانت طبيعته بسيطة، فصلاحه ليس مكتسبًا، بل أن الروح نفسه في كل الأحوال، هو الصلاح، والحكمة، والقوة، والقداسة، والبر، والأزلية، والخلود، وسائر الصفات الأخرى السامية. إذًا، فبأى منطق يُدلّلون على أن الروح غير مُمجد، أولئك الذين لا يخافون الدينونة وهم يستحقونها، بسبب التجديف على الروح القدس؟

إن كلامهم واضح، فهو يتضمن بأنه لا يليق أن نؤمن أن الروح الذي هو بالطبيعة مُمجّد، ويستحق التمجيد، هو إله، لا أعرف كيف يكون ذلك وبأى منطق؟ إن دفاعهم عن آرائهم وقولهم بإن الروح القدس ليس إلهًا لأن الرب قد أعطاه لتلاميذه باعتباره الاقنوم الثالث، لا يُعد دفاعًا، فكيف يكون مُبررًا أن يُعتبر الترتيب العددي، سببًا في نقصان من هو بالطبيعة واحد مع الآب والابن في الجوهر؟ هذا يشبه شخصًا يرى نارًا مُقسمة لثلاث شعلات، ومع إفتراض أن سبب إشتعال الشعلة الثالثة هو الشعلة الأولى وأن الحرارة أقوى في الشعلة الأولى، وتقل وتميل للتناقص في الشعلة الثانية، وتكاد تختفي في الشعلة الثالثة، إلا أنها تتوهج وتحرق، وتصنع كل ما تصنعه النار. فإن كان لا يُعيق الشعلة الثالثة شئ، عن أن تكون نارًا، حتى وإن كانت بعد أقل حدة من الشعلة السابقة، فما هى حكمة الذين يعتبرون أنفسهم أتقياء عندما يُنقصون من رتبة الروح القدس؟ فلو أن طبيعة الروح القدس تفتقر إلى أى معنى من معاني الألوهية، لكان لهم الحق في أن ينسبوا له نقصًا في المجد. أما إن كانت الأمور كافة تقود إلى

إدراك عظمة وقوة الروح القدس، فلماذا نفحص موضوع مجد الروح القدس بصغر نفس؟ فإذا تأكد كلام من يصف **الروح** بأنه إله، فإن ذاك الذي يصفه بأنه مُمجد وصالح، وقوي، لا يكذب. لأن معنى الإلوهة يشمل كل هذه المعاني. ويصبح هناك إلزامًا أن تقبل بواحد من أمرين: إما أننا لا ندعوه إلهًا، وإما أن ندعوه إلهًا ولا نجرده من أية صفة من الصفات الإلهية. ولهذا ينبغي في كل الأحوال أن تُفهم هذه الصفة مرتبطة بالصفات الآخري، ذلك فيما يتعلق بالتفكير اللائق بالطبيعة الإلهية، والمعاني المقدسة التي تخص هذه الطبيعة السامية.

إذًا فنظرًا لأنه قيل، وهو قول حسن، إن للروح طبيعة إلهية، فإن كل معنى سام ــ كما قلنا ــ يظهر مع هذه الصفة. وكل من قَبِل **الروح** فيكون قد اعترف بمقتضى هذه الصفة بكل الأمور الأخرى، أى أنه مُمجد، وقوي، وصالح، وأزلي. كما أنه من غير الطبيعي، ألاّ تكون هذه المعاني منطبقة على **الروح القدس**، طالما أن كل ما هو مضاد لهذه الصفات الإلهية لا يتناسب معه ولا يليق به علي الإطلاق. أى أن مَن لا ينسب المجد للروح القدس، سينسب له الهوان، ومن يرفض أن ينسب له القوة، سيقبل أن ينسب له العكس أى الضعف. وهكذا أيضًا بالنسبة للكرامة والصلاح. وإن كان هذا أمرًا مُرعبًا، ويتجاوز كل درجات الغباء والتجديف، فمن الواضح أن الأتقياء سيتفقون مع الصفات والمعاني التي تليق **بالروح القدس**، بدرجة أكبر وسيكونون مقتنعين بتلك الصفات التي كثيرًا ما أشرنا

إليها مرات عديدة، أنه مُكرّم، وقوي، وممجد، وصالح. أما الصفات التي يعتريها النقص، أو قدر محدود من الصلاح، فإنها لا تُنسب للروح القدس، فصفات الروح لا يعتريها نقص أو زيادة بل هي صفات أزلية. لأن المكرّم، ليس هو مُكرّمًا إلى وقت مُعين، بل يظل مُكرّمًا بصفة دائمة. وبناء على ذلك، فإن كان الروح يتصف بالكمال بكليته وبشكل تام، فإنه لا يقبل النقصان بأية حال. لأنه إذا كان يتصف بالكمال بحسب طبيعته فإن أي تعليم يُنادي بالنقص في أي جزيئة تخص الروح، سيُعطى للتشكك فرصة لطرح أفكار أكثر وضاعة. لأن مَن هو غير مُكرّم بالتمام، تُثار حوله الشكوك، بأنه يشترك في صفة عدم الكرامة في جانب ما. فإن كان مجرد التفكير في هذا الأمر بحد ذاته، يُشكل هوسًا لا حد له، فيكون من اللائق أن ننسب له عدم المحدودية وأن كماله في الصلاح لا يعتريه النقص مطلقًا.

أعتقد أن جميع العقلاء سيتفقون مع كل ما طُرح. إذًا إن كان مقام الآب مقامًا كاملاً، ومقام الابن مقام كامل أيضًا، وإن كان هذا الكمال يخص الروح القدس أيضًا، فلماذا إذًا يطرح أمامنا واضعو المبادئ الجديدة، قانونًا يلزمنا بألاّ نقبل أن الروح مساوي في الكرامة للآب والابن؟ ونحن إذ نتبع التحليل السابق ذكره، لا يمكننا أن نقول ولا أن نُفكر أن الروح أقل في الكرامة، وهو الذي لا يحتاج أي إضافة من

أجل كماله، لأنه لا ينقصه شئ، إذ هو كامل كمالاً مطلقًا، وهؤلاء الذين يرفضون المساواة في الكرامة، يعلمون ذلك.

إن مسايرة المنطق الذي ينادي بنقص الروح مقارنة بالأقنومين الآخرين أي الآب والابن سيحول الأفكار النقية عن **الروح القدس** إلى أفكار غير نقية، طالما أنهم لا ينسبون **للروح** أيضًا الكمال، لا في الصلاح، ولا في القوة، ولا في أى صفة من الصفات المقدسة، التي ننسبها إليه. أما إذا تجنّبنا التجديف الواضح، فلابد أنهم سيعترفون بالكمال في كل صلاح يتسم به **الروح**، فليشرح لنا الحكماء، كيف يمكن أن ينبثق شخص غير كامل من شخص كامل.

إذًا، فإن كانوا يتفقون على أن **الروح القدس** كامل في كل شئ، وأن الأنقياء يعترفون بكماله، وأنه واحد مع الآب والابن في كل صلاح، فما هو السبب الذي يجعلهم يبطلون ما تفضلوا واعترفوا به؟ أى أن تبطل شيئًا له كرامة متساوية، فهذا دليل على أنك لا تؤمن أنه شريك في الكمال. ماذا يعتقدون تحديدًا في الكرامة الخاصة بالطبيعة الإلهية، والتي يُريدون أن يجردوا **الروح** منها أو يروا أنه ليس له نصيب فيها، وبأي شئ يعتقدون؟ هل يقصدون تلك الكرامة التي يقدمها الناس بعضهم لبعض، معبّرين عنها بمواقفهم وخضوعهم بحسب المكانة والرتبة، وكل هذه السلوكيات التي تتطلبها العادات الباطلة للحياة بهدف الكرامة؟ إن ذلك كله يعد نتاجًا لمن صاغه علي هذا النحو، ولو افترضنا أنه لا يوجد من يرغب في ذلك، فلن يكون

هناك من يملك أساسًا معينًا لقبول كرامة أكثر من آخرين، طالما أننا نعترف للجميع بمعايير طبيعية واحدة. إن كلامي واضح جدًا فمن يعتبره الكثيرون اليوم مستحقًا للكرامة، بسبب منصب يحتله، سنجده فيما بعد واحدًا من بين الذين ينتظرون تلك الكرامة، لأن منصبه قد انتقل لآخر. تُرى، هل هم يُفكرون في مثل هذا النوع من الكرامة، عندما يتحدثون عن الطبيعة الإلهية. فهل تُعطي الكرامة للأقانيم الثلاثة، عندما نُريد نحن فقط، وعندما نتوقف عن تكريم الطبيعة الإلهية وفقًا لرغبتنا، يتوقف التكريم للأقنوم الإلهي؟ إنه ضرب من العبث والتجديف، أن نفكر في أن الأقنوم الإلهي لا يصبح أكثر استحقاقًا إلا عندما نعطيه كرامة أكثر. فهو كامل بذاته من حيث الكرامة، فهو لا يمكن أن يتحول للأسوأ أو إلى الأفضل، إنه لا يقبل الأفضل، كما أنه ليس فيه أسوأ.

فبأية طريقة ستكرم الأقنوم الإلهي؟ كيف ستسمو بمن هو كليّ السمو؟ كيف ستُمجد من هو فوق كل مجد؟ كيف سنمتدح غير المُدرك؟ إن كانت كل الأمم تُحسب كنقطة من دلو، كما يقول أشعياء[٣]، وإذا توّحد البشر جميعًا، ورفعوا إلى أعلى تمجيدًا واحد، فما هي الإضافة التي ستقدمها تلك النقطة لذاك المُمجد بطبيعته؟ ها "السموات تحدث بمجد الله"[٤]، وهى تعتبر مبشرًا صغيرًا من حيث

[٣] أش ٤٠ : ١٥.

[٤] مز ١٩ : ١.

استحقاقها لتمجيد الله، "حيث جعلت جلالك فوق السموات"[5]. كيف بحثوا في جزء بسيط من الألوهة، والتي تُدعى رمزيًا، بالشبر[6]. وهل تعتقد أن الإنسان الفاني، قصير الحياة، والذي يُشبه العشب[7] بحق، والذي هو اليوم موجود، وغدًا غير موجود، أنه في وضع يسمح له بتكريم الطبيعة الإلهية؟ انه يشبه الآتي: أن يُشعل احد فتيلة صغيرة، ويعتقد أنه يقدم بهذه الشعلة، إضافة لنور الشمس. أخبرني ماذا ستقول لكي تُكرّم الروح، إن كنت تُريد أن تكرّم الروح القدس إكرامًا كاملاً ؟ فهو بالطبع خالد، وغير مُتغير وثابت، وصالح إلى الأبد، ولا يحتاج لعطية أخرى، وأنه يعمل كل شيء في كل الكائنات كما يُريد، وأنه رب، وصالح، وبار، وحقيقي، وهو الذي يفحص أعماق الله والذي ينبثق من الآب، ونأخذه بواسطة الإبن. ما الذي ستُقدّمه له إزاء جميع هذه الصفات، وصفات أخرى مشابهة؟ هل تُكرّمه بالصفات التي له؟ أم بتلك التي ليست له؟ إن كنت تنسب له ما ليس له، فإن تقدمتك باطلة، وتكون كمن لم يقدم له شيئًا. من يقول إن المرّ حلو فهو يتكلم بالكذب، ولا يستطيع أحد أن يمتدح من هو مستحق الإدانة. إن كنت تنسب له الصفات التي له، فأنت لم تضف

[5] مز ٨ : ١.
[6] أش ٤٠ : ١٢.
[7] مت ٦ : ٣٠.

شيئًا إذ أنه يمتلك تلك الصفات بطبيعته، سواء قبلت هذا أم لا. يقول الرسول بولس "إن كنّا غير أمناء فهو يبقى أمينًا"[8].

إذًا ما قيمة الاحترام وكرم النفس أو علو الهمة لأولئك الذين يكرمون الآب بغنى، ويقدمون نفس الكرامة للابن، بينما لا يقدّمون للروح إلاّ النذر القليل، إن كان **الروح القدس** لا يلقي من هؤلاء الكرامة اللائقة به لأنهم يفصلون بينه وبين الطبيعة الإلهية، فإن كرامته لن تكتمل برغبتنا بل بفضل طبيعته هو. إنها رؤية تستحق التوبيخ، **فالروح القدس** بطبيعته مُكرّم، وممّجد، وقوي، ويجمع في ذاته كل المعاني السامية، حتى وإن لم يُريدوا ذلك. قد يوافقون، لكنهم يقولون إننا تعلّمنا من الكتاب المقدس أن الآب هو الخالق، أيضًا تعلّمنا أن كل شيء قد صار بالإبن، لكن الكتاب لم يقل لنا شيئًا مماثلاً عن **الروح**.

كيف يُفكر أولئك الذين يعتقدون أن الروح ليس مع الآب والإبن بصفة دائمة، ويقولون إننا أحيانًا نراه وحده، وأحيانًا يُدرك معهما، بهذا المنطق الخاطئ. أي أنه إن كانت السماء والأرض، وكل الخليقة قد خُلقت من الآب بواسطة الإبن فقط، ودون إشتراك الروح، فليخبرنا كل مَن يزعم ذلك، ماذا صنع **الروح القدس**، عندما خلق الآب كل الخليقة بالإبن؟ هل كان **الروح** مُنشغلاً بأعمال أخرى، ولهذا لم يشترك في عمل الخلق؟ ليتهم يظهرون لنا ما هو بالتحديد العمل

---

[8] ٢ تيمو ٢ : ١٣.

الذي كان يليق بالروح وقت خَلِقَ الكون؟ بالتأكيد من الحماقة والغباء أن نتخيل أن هناك كون أخر قد خُلق، غير هذا الكون الذي خلقه الله بواسطة الإبن.

يقولون إن **الروح** بالتأكيد لم يكن منشغلاً بشيء، بل كان يقف بعيدًا عن عمل الخلق، في وضع يتسم بالخمول والكسل واللامبالاة. اننا نطلب من نعمة **الروح** ذاته أن تترآف بنا، لأجل كلماتهم الباطلة هذه. نحن نتتبع عن كثب هؤلاء الذين يرسّخون مثل هذه التعاليم المنحرفة حتى ندحضها ولا ندعها تشوش أفكار البسطاء. يتضح إذًا أن الفكر النقي يُستعلن بالأسلوب الآتي:

فالآب لا يمكن أن يُدرك بدون الإبن، ولا الإبن بدون الروح القدس. أي كما هو مُستحيل، أن يقبِل احد إلى الآب، إن لم يجتذبه الإبن[٩]، هكذا هو مُستحيل أن تتكلم عن ربنا يسوع المسيح، بدون الروح القدس[١٠]. إذًا فالأقانيم مرتبطون معًا في ثالوث كامل، يُعترف بهم على الدوام، الآب والإبن والروح القدس، وقبل كل الدهور، وقبل كل معنى وفكر، الآب هو دائمًا آب، وفي الآب يوجد الإبن، ومع الإبن الروح القدس. إذًا إن كان الثالوث القدوس (الآب والإبن والروح القدس) واحد بلا انفصال، فكيف نصف حماقة أولئك الذين يحاولون تقسيم غير المنقسم، وان يفصلوا غير المنفصل، حتى أنهم

---

[٩] يو ١٤ : ٦.

[١٠] اكو ١٢ : ٣.

يتجرأون أن يقولوا: إن الآب، بواسطة عمل الإبن وحده، خلق كل شيء، بينما الروح القدس إما أنه لم يكن حاضرًا، أو أنه لم يعمل وقت الخلق؟ فإن لم يكن حاضرًا وقت الخلق، فليقولوا لنا، أين كان طالما أن الله قد تعهّد كل شيء، إن كانوا يقصدون أنه توجد مكانة ما تليق بالروح القدس، حتى يكون هو بذاته منعزلاً لأنه منشغل بأمور أخرى أثناء فترة الخلق. أيضًا إن كان حاضرًا، فكيف ظل بدون فاعلية؟ فإن كان قد ارتضى عدم المشاركة في الخلق باختياره، فهو بهذا لم يُساهم على كل الأحوال في أي عمل أخر، وبناء على ذلك يكذب مَن يقول إن الروح يعمل في كل شيء كما يُريد، وفقًا لرؤية هؤلاء.

والآن إذا كان الروح يعمل علي الدوام فهل هناك سلطة ما أسمى تعوقه عن العمل؟ وهل يتحرك بدافع الحسد، فيعمل ليقتني مجدًا عن اعماله؟ على أية حال فإن الحكماء سيوضحون لنا أسباب هذه الآراء. لكن إن كان الحسد لا يمكن أن يُنسب للطبيعة الإلهية، ولا أن يُنسب أي خطأ للطبيعة المعصومة من الخطأ، فأي معنى يحمله هذا الفكر الرديء الذي يعزل قوة الروح عن أسباب الخلق، بينما كان ينبغي أن نهجرَ المعاني الإنسانية الفقيرة، وأن نفكر بطريقة تليق بسمو من نُفكر فيهم. هنا ونظرًا لأننا لا نستطيع أن ننسب أى ضعف إلي الأقانيم الثلاثة ذات الجوهر الواحد (إذ أن قصدهم يتحقق فور وجود رغبة في خلق أى شئ)، فيمكن أن نُطلق علي الطبيعة التي نالت

وجودها بعملية الخلق إنها نتاج لحركة الإرادة، ووثوب النية، وعمل القوة الذي يبدأ من الآب، ويتقدم عن طريق الإبن، ويكتمل بقوة الروح القدس.

ونحن إذ نُقدم هذه الأفكار، بطريقتنا المعتادة، لا نستطيع أن نقبل حكمة أولئك الذين يجادلون. إننا نؤمن ونُقرّ أن الروح القدس كائن مع الآب والإبن، وهو لا ينقص عنهما في شيء، لا في الإرادة ولا في القوة، ولا في المجد، ولا في أي شيء يتعلق بالصلاح، ولهذا فلا **نرى أية فروق بين أقانيم الثالوث باستثناء الترتيب العددي للثالوث.**

نقول فقط إن الروح القدس هو الثالث في الترتيب العددي بعد الآب والإبن، والثالث في إعطائه لنا. بينما في كل الجوانب الأخرى، نحن نعترف بأنهم مشتركون معًا في طبيعة واحدة، وفي الكرامة، وفي الألوهية، وفي المجد، وفي العظمة، وفي السيادة على كل شيء. وبالنسبة للسجود والعبادة وكل ما يتعلق بما يسوقه الحكماء لدي أنفسهم من كلام تافه، نقول إنه في كل ما نصنعه نحن برغبتنا، فإن الروح القدس هو أسمى بما لا يُقارن. وسجودنا أيضًا يعد أقل بكثير من الكرامة التي ندين له بها، وكل ما هو مُكرّم واعتاد الناس أن يقدّموه له، يعتبر أقل بكثير من قيمة واستحقاق الروح القدس. ولهذا فالذي هو بطبيعته لا يُقاس بشئ، هو أسمي وأعظم من أي تقدمات مهما كان مقدارها، قياسًا علي قدرتهم على العطاء، تلك القدرة

الصغيرة، والمحدودة. إننا نتكلم بهذا، لكل من يقبل رؤية التقوي عن الروح القدس، لأنه بالطبيعة إله.

يتردد الحديث عن تلك الأمور التي ينشرها الهراطقة، لكي يُحَجِّموا عظمة وبهاء الروح، وهم يقولون إن الروح ليس من الأقانيم التي تَخلق، بل من التي تنتمي إلى المخلوقات، وإنه لا يجب أن نَعده ضمن الطبيعة الإلهية، بل هو من الطبائع المخلوقة. ويمكننا الرد علي ذلك بقولنا:

إننا لم نتعود علي أن نعتبر الذين يفكرون هكذا في عداد المسيحيين. وكما أنه لا يستطيع المرء أن يدعو الجنين الذي لم يكتمل، إنسانًا، بل ينتظر حتى يصل إلى هذه التسمية، عندما يبلغ إلي حالة الإكتمال. هكذا كل من لم يتشكل داخل سر التقوى الحقيقية، لا يُعترف به كمسيحي. نحن نسمع أن اليهود أيضًا يعترفون بالله، ليس هذا فقط بل يعترفون بإلهنا. ويتفق معهم الرب، في انجيل يوحنا، علي أنهم لا يؤمنون بإله آخر، سوى الآب الذي هو أب الإبن الوحيد الجنس، وإذ يقول لهم: "الذي تقولون انتم إنه إلهكم"[١١].

---

[١١] يو ٨ : ٥٤.

إذًا، ترى هل يجب أن نُسمي اليهود مسيحيين، لأنهم يعترفون بأنهم يقدسوا من نسجد له نحن؟ أعرف أن المانويين[١٢] ينشرون اسم المسيح. إذًا ما العمل؟ هل نضعهم في عداد المسيحيين لأنهم يعترفون بالاسم الذي نسجد له نحن؟ وهكذا فإن من يعترف بالآب، ويقبل الإبن، لكنه ينكر عظمة الروح، فهو ينكر الإيمان، وهو أشر من غير المؤمن، ويفقد لقب المسيحي. والرسول بولس يطلب أن يكون إنسان الله، كاملاً[١٣]. **والإنسان الكامل، هو الذي اكتملت طبيعته من كل الوجوه، يجب أن يكون عاقلاً، مُتقبلاً للفكر والعلم، مشاركًا في الحياة، مبتسمًا. وإن دعوت شخصًا ما، إنسانًا، ولم تتمكن أن تُظهر أنه يمتلك الصفات التي ذكرناها عن الطبيعة الإنسانية، فإنك تُكرمه بهذا الاسم ظلمًا. هكذا فإن المرء يُوصف بأنه مسيحي من خلال الإيمان بالآب والإبن والروح القدس.** هذا هو الشكل الذي يأخذه كل من يتشكل طبقًا لسر الحق. وحين لا يشتمل الإيمان على الاعتراف بألوهية الروح القدس، فإن ذلك يشكل التباسًا في مفهوم الإيمان، وعدم وضوح للختم (ختم الإيمان)، وإبتعادًا عن طبيعة المظهر الحقيقي للمؤمن، واختلافًا في العلامات المميزة للإنسان المسيحي. وهنا تصدق كلمة سفر الجامعة القائلة: " لست تعلم، كيف العظام في

---

[١٢] المانويون هم أتباع الفيلسوف الفارسي ماني الذي توفي سنة ٢٧٣م، وقد اعتقدوا بوجود مبدأين أزليين للكون وهما غير مخلوقين: النور والظلمة. النور هو إله الخير، والظلمة هو إلهه الشر. والمادة بحسب رؤيتهم هى ظلمة وبناء عليه فهى شر.

[١٣] ٢ تيمو ٣ : ١٧.

بطن الحبلى"[١٤]. كيف سيقبل المسيح، ذاك الذي لم يربط المسحة (أي الروح القدس) بالمسيح الذي مُسِحَ بالروح؟ يقول الكتاب "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس"[١٥].

الملك السمائي:

إذًا فليخبرنا أولئك الذين يُجردون الروح من مجده، ويصنّفونه ضمن الطبائع المخلوقة، إلى أي شيء ترمز المسحه. ألا ترمز للملكوت؟ ألا يؤمنون أن الإبن الوحيد الجنس هو بطبيعته ملك؟ إن كل من رفض أن يُغلّف قلبه بالغطاء اليهودي، لن يعترض (على أن المسحة هى رمز للملكوت وأن الابن الوحيد الجنس هو بطبيعته ملك وأن الروح مُمجّد بطبيعته). إذًا إن كان الإبن ملِكًا بطبيعته، وإن كانت المسحة رمزًا للملكوت، فماذا تُعلن لك الكلمة في تتابعها المنطقي؟ من المؤكد أن المسحة ليست شيئًا غريبًا بطبيعتها عن الملِكْ، ولا الروح يُزج به ضمن الثالوث كشيء غريب عنه، كأنه من جنس أخر. أي أن الإبن ملِكْ، والروح القدس، بأقنومه الخاص، له مقام ملوكي، وفي هذا الملكوت مُسِحَ الإبن الوحيد الجنس، وهو مسيح وملك علي كل الكائنات.

إذًا إن كان الآب ملكًا، والإبن الوحيد الجنس هو ملك أيضًا، فإن الروح القدس هو المقام الملوكي، وهو كلمة الملكوت الواحدة المعبّرة

---

[١٤] جا ١١ : ٥.

[١٥] أع ١٠ : ٣٨.

عن الثالوث القدوس. ومعنى المسحة يُشار إليه بطريقة سرية، وأنه لا توجد أية مسافة تفصل بين الإبن والروح القدس. أي كما أنه لا يمكن لأحد أن يتصور وجود شئ يفصل بين أى جسم وبين الزيت الذي يُمسح به، فكهذا الارتباط بين الإبن والروح القدس، لا يوجد بينهما فراغ زمني، لذلك من يسعى للتلامس معه بالإيمان، لابد له أن يقبل أولاً الميرون. لأنه لا توجد علامة أو مكان مجرد للروح القدس. ولذلك فإن الإعتراف بسيادة الإبن، تتحقق في كل من يُدركها بقوة الروح القدس، وكل من تقابل أولاً مع الروح، فإنه يتلامس مع الإيمان. إذًا إن كان الإبن ملكًا بطبيعته، والروح القدس هو مقام الملكوت، الذي به يُمسَح الإبن، فكيف يمكن أن تتوافق الطبيعة المختلفة عن طبيعة الملكوت، مع ذاتها؟

بعد ذلك فلنفحص الآتي: إن الملك يتميز بالطبع بأنه يحكم رعايا، فمن هم رعايا الطبيعة الملكوتية؟ الكتاب يشير إلي الدهور وكل ما تحتويه هذه الدهور، يقول الكتاب:"مُلكك مُلك كل الدهور"[١٦]. ويقصد بكلمة "دهور" ما يتضمنه كل الكون الذي خُلق داخل هذه الدهور، سواء المرئي أو غير المرئي، لأنه داخل الدهور. لأن خالق الدهور قد خلق كل شيء داخل الدهور. إذًا إن كان المقام الملوكي يُفهم دومًا في إرتباطه بالملك، وإن كنا نعترف بأن الطبيعة الخاضعة تختلف عن الطبيعة الحاكمة، فما هو هذا التناقض الذي يقع فيه هؤلاء

---

[١٦] مز ١٤٥ : ١٣.

الذين يضيفون المسحة كرتبة، على من هو بطبيعته ملك، لكنهم يضعون الروح نفسه في مجال الطبيعة الخاضعة، في وضع أدنى من رتبته؟ فإن كان من الطبائع الخاضعة بحسب طبيعته، فكيف يتوافق مع المقام الملوكي للابن وحيد الجنس، والذي له مسحة مقدسة؟ وإن كان مقامه الرئاسي ظاهرًا وواضحًا، في عظمة الملك، فما هي الحاجة أو الضرورة أن يُقلل احد من شأنه، ويضعه في إطار الطبائع الخاضعة ويُحصى مع الطبيعة الخادمة؟

بالتأكيد إن من غير الممكن أن تُنسب له الصفتان، فلا يستطيع المرء أن يكون مُحقًا في نسبة الصفتين إليه، أي أن يكون رئيسًا، وخادمًا، فإن كان رئيسًا ويقود، فلن يكون له سيد أو قائد، وإن كان خاضعًا، فلن يكون منتميًا للطبيعة الملوكية. كما نُلاحظ أن البشر يُحصون مع البشر، والملائكة مع الملائكة، وكل الأشياء الأخرى مع الأشياء الشبيهة بها، هكذا هو أمر إلزامي أن نعد الروح القدس أو نُحصيه في أحد أمرين، إما ضمن الطبيعة الربانية وإما مع الطبيعة الخاضعة.

إن الكتاب المقدس لا يعرف شيئًا عن وجود طبيعة أخري بين هاتين الطبيعتين، حتى ينشئ نوعًا جديدًا من الطبائع يقف في منطقة وسط بين المخلوق وغير المخلوق، أيضًا من غير الممكن أن يشترك في الاثنين لأنه بذلك لن يكون كاملاً، لا في هذه الطبيعة ولا تلك. وبالتأكيد إنه من غير الممكن أن نتصور أن هناك شركة بين

المتناقضات، ووحدة بين المخلوق وغير المخلوق، ومن غير الممكن أن يختلط هذان المتناقضان في كيان واحد، الأمر الذي ينتج عنه ليس فقط تكوين مُركب يُعاد خلقه بهذا الاختلاط العجيب، بل أن تركيبته تكون قد أتت من عوامل غير مُتشابهة، والتي هي بالطبع غير متوافقة زمنيًا أيضًا. أي من ذاك الموجود الذي لم يُخلق، ومَن أخذ وجود بالخلق، وهو على كل الأحوال لاحق. فإن قالوا إن طبيعة الروح مُكونه من هذين المتناقضين، فهم يقصدون بذلك اختلاط الأكبر بالأصغر أو الأحدث. ووفقًا لهؤلاء سيكون هناك شيء أكبر أو أقدم في ذاته، وأيضًا شيئًا أحدث في ذاته، فيكون قديمًا لأنه لم يُخلق، وحديثًا لأنه خُلق. ونظرًا لأن ذلك يعد أمر غير طبيعي، فهناك احتياج أن نقول إن أمرًا واحدًا من هذين الأمرين هو حقيقي، وهو أن الروح غير مخلوق.

لنتبين مقدار الحماقة التي يحملها الأمر الثاني. طالما أن كل ما في الكون، هو متساوي، وندركه من حيث أنه أخذ كينونته بالخلق، فما هو السبب الذي يُجرد الروح عن الصفات التي يتّصف بها الآب والابن؟ لأن مُتابعة الكلام تؤكد، أن ما نعتبره في عداد الطبيعة غير المخلوقة، لا ينتمي إلي الكون المخلوق. من ناحية أخرى، لو أنه قد أتى من الخلق، ما كان له أن يتمتع بأي قوة تفوق قوة المخلوقات المتشابهة، ولا أن يكون ممكنًا أن يرتبط بالطبيعة السامية. ولكن إذا كانوا يزعمون أنه من الممكن أن يكون مخلوقًا، وان يكون أعلى من

الكون، فمرة أخرى نجد أن الطبيعة المخلوقة تتمرد على نفسها، وتتقسم بين العنصر ذي السيادة والعنصر الخاضع، طالما أن الواحدة تُنعِم والأخرى يُنعَم عليها، الواحدة تُقدِس والأخرى تتقدس. **ومن جهة أخري فكل ما نعتقد أن الروح القدس يمنحه للكون من هبات، فهذه الهبات توجد فيه، وتنبع منه، وتفيض على الأخرين، ويصبح الكون في حالة احتياج للنعمة التي تتدفق منه.**

ونظرًا لأنه لا يوجد أى تفضيل داخل الطبيعة الواحدة، فعندما لا يتمتع الذين ليس بينهم اختلافًا في كينونتهم، بإمكانيات واحدة، فهذا يشبه الحرمان من الميراث، كما يشبه المحاباة أيضًا، وذلك ما لا يعترف به عاقل. فإما أن الروح القدس لا يهب شيئًا، إن لم يكن يمتلكه بحسب طبيعته، وإما إن قلنا إنه يُعطى الخيرات فيفترض مُسبقًا الاعتراف بأنه في كل الأحوال يمتلكها. وهذا هو الملمح الخاص بالطبيعة الإلهية فقط، أن يمنح الخيرات، بينما هو ذاته ليس له احتياج لأي شيء يضاف إليه.

الروح المحييّ:

ولنتطرق إلي ما يتعلق بالمعمودية المقدسة. ماذا نربح بالمعمودية؟ اعتقد أنه لا أحد يُمكنه أن يشك في الكلام (الخاص بالروح القدس) بعد أن ينضم إلي المسيحيين. ماذا إذن؟ **ترى، هل تختبئ القوة المحييّة لمن تغمره نعمة المعمودية، في الماء؟ أم انه من الواضح أن الماء يُستخدم لغسل الجسد، وأنه لا يُساهم قط من**

نفسه في التقديس، إن لم يتحول بالتقديس؟ أما الذي يُحيي كل من يتعمد، فهو الروح، كما يقول السيد الرب عنه "الروح هو الذي يُحيي"[١٧]. ولكي تكتمل هذه النعمة، لابد أن يكون هناك إيمان مسبقًا بالرب، والذي به تحل النعمة المحيية علي كل من يؤمن، كما قال الرب:" كذلك الابن أيضًا يحيي من يشاء"[١٨].

ولكن لأن النعمة التي يعطيها الإبن تبدأ من مصدر غير مولود، لهذا فإن الكتاب المقدس يُعلّم أن الإيمان يكون أولاً بإسم الآب الذي يُحيي كل المسكونة كما يقول الرسول بولس[١٩]. إذًا من هذا المنطلق، فإن النعمة المحييّة تكتمل في المستحقين لها من المصدر الذي يفيض بالحياة، بواسطة الابن وحيد الجنس، الذي هو الحياة الحقيقية، وبعمل الروح القدس.

فإن كانت الحياة تعمل من خلال المعمودية، بينما المعمودية تكتمل بإسم الآب والابن والروح القدس، فماذا يقول الذين يعتبرون الذي يمنح الحياة، لا شيء؟ وإن كانت هذه العطية بسيطة أو صغيرة، فليخبرونا عن ما هو أفضل من الحياة. أما إذا كان الشيء الثمين والقيّم يأتي في المرتبة الثانية، أعني الحياة السامية والمكرّمة، والتي ليست للطبيعة غير العاقلة أية علاقة بها، فكيف يتجرأون أن يهينوا هذه النعمة العظيمة جدًا، أو ربما يهينون من يمنح هذه النعمة ذاته،

---

[١٧] يو ٦ : ٦٣.

[١٨] يو ٥ : ٢١.

[١٩] " أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل" (١تي ٦ : ١٣).

من خلال أرائهم المنحرفة، وينزلون به إلى مستوى الطبيعة المخلوقة، وينزعون عنه صفة الطبيعة الإلهية؟ ثم بعد ذلك إن كنا نعتبر أن هبة الحياة شيء بسيط، حتى أنه لا يتضح من خلال هذه الهبة شيء عظيم وسامي في طبيعة الواهب، فكيف لا يفكرون بشكل منطقي، أن الكلام نفسه سيُلزمنا بالنسبة للإبن وحيد الجنس ذاته، وبالنسبة للآب، ألاّ نعترف بأن لديهما شيء عظيم، برغم أن الحياة ذاتها تُمنح من الآب بواسطة الابن؟

فإن كان هؤلاء يعتبرون أن العطية ضئيلة أو يسيرة إلي هذا الحد، حتى أنهم يسيئون إلي حياتهم ذاتها، ولهذا وصلوا إلى إهانة ذاك الذي يهب هذه العطية، فيجب ألاّ يغيب عنهم، أنهم لا يحصرون الجحود في أقنوم واحد، بل من خلال الروح القدس يمتّد التجديف ليشمل الثالوث القدوس.

فكما أن النعمة تنتقل إلي المستحقين بلا تقسيم من الآب، بواسطة الابن والروح القدس، هكذا فإن التجديف يمتدّ، بطريقة عكسية، من التجديف على الروح القدس إلي الابن وينتهي إلى الآب. أي وإن كان هناك إنسان واحد قد نقض الروح فلابد له أن ينقض الذي أرسله، فهل تبقي هناك حاجة لأظهار حجم الإدانة التي تتقرر علي كل من يجدف علي الروح القدس؟ ولهذا فقد حددّ الكتاب إدانة لا تغتفر على هذا التجديف[٢٠]، فإن التجديف على الروح القدس،

---

[٢٠] أنظر مت ١٢ : ٣١ " أما التجديف علي الروح القدس فلن يغفر للناس".

الذي ينتج عن الرغبة الداخلية للمجدف، هو تجديف على الطبيعة الإلهية الطوباوية. وكما أن الذي قَبِل الروح القدس بورع، قد رأى في الروح المجد الذي للابن الوحيد الجنس، وعندما رأى الابن رأى صورة غير المحدود، ومن خلال الصورة رسم في مُخيلته النموذج الأول للصورة، هكذا عندما يجدف أحد بوقاحة علي مجد الروح القدس، فإن التجديف يمتد بنفس المنطق للابن وللآب. ينبغي إذاً مساندة العقلاء، حتى لا يتبعوا هذه الوقاحة، التي نهايتها هلاك من تجرأ على ارتكابها، بل لكي يرتفعوا بحديثهم عن الروح بكل ما يمتلكون من قوة، وقبل أن يعبروا بالكلام يسمون به في أفكارهم. لأنه يصعب على الكلام أن يواكب الفكر في ارتفاعه. وعندما يصل الذهن إلى الحد الأقصى لقدرات الإنسان، أي إلى أسمى وأعظم المعاني، بحسب كلام المزمور: "علّوا إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه"[٢١]. فلتتيقن بأن كل تمجيدك لن يصل إلى المستوى اللائق بالعظمة الإلهية.

إذاً إن كان التمجيد الذي يُقدم لله اقل من عظمته (هذا ما يُلمح به كلام المزمور، عند موطئ قدميه)، فكم يكونون أغبياء أو حمقى هؤلاء الذين يتخيلون أنهم يمتلكون داخلهم مثل هذه القوة التي يستطيعون بها تحديد قيمة الكرامة اللائقة بالطبيعة فائقة الكرامة. ولهذا فإن كانوا يحكمون بإن الروح القدس غير مستحق لمعاني

---

[٢١] مز ٩٩ : ٥.

الكرامة البسيطة، فهل يتصورون أن قدرات عقلهم أكبر مما تتسع له قيمة الروح؟ هؤلاء يستحقون الشفقة، ومصابون بهوس شديد، وهم أنفسهم لا يدركون ماهية هذه الآراء والصياغات التي يُعبّرون عنها، ولا ماهية الروح القدس الذي يُعارضونه بتباهي. مَنْ سيقول لهؤلاء أنهم بشر، ريح تعبر ولا تعود إلى بطن المرأة، عندما تتحلل أجسادهم في الطين الملوث بعد أن كانوا قد حُمل بهم بحمل دنس، هذا الطين يحتويهم في حياة شبيهة بالنباتات، التي تزهر سريعًا في خداع الحياة، ثم تجف ويختفي الزهر، وتسقط الأوراق حولها. هل كان لهم ذكر قبل أن يولدوا، وهل يعرفون إلى أين سينتقلون، مادامت النفس تجهل نهايتها، طالما هي ساكنة في الجسد[٢٢]؟ هكذا يكون البشر.

وكما أن الروح القدس بحسب طبيعته هو مثل الآب، أي قدوس بالطبيعة، هكذا أيضًا الابن وحيد الجنس. وبذلك يكون الروح القدس هو نفسه أيضًا بحسب هذه الخواص، محييًا، لا يفنى، لا يتغير، أزليًا، بارًا، حكيمًا، بسيطًا، مُدبرًا، مانح كل الخيرات. هو حاضر في كل مكان، وفي كل كائن، يملأ الأرض، وكذلك يسكن في السماء، يحل في القوات السمائية، يملأ كل المسكونة، يسكن في كل احد بحسب استحقاقه سكنى كاملة، هو مع المستحقين، ولا ينفصل عن الثالوث القدوس. يفحص أعماق الله بلا انقطاع، يأخذ على الدوام

---

[٢٢] أنظر يو ٣ : ٤.

من الابن ويُرسل، لا ينفصل أو يتجزأ، ويُمجِد، وله كل المجد. أي أن من يمنح مجدًا للآخر، لابد له أن يكون هو في مجد فائق للوصف. فكيف للمجرد من المجد أن يُمجِد؟ فإن كان شيء ما ليست فيه خاصية النور، فكيف سيُظِهر نعمة النور؟ هكذا فإن من ليس هو المجد ذاته، والكرامة، والعظمة، والبهاء، لن يستطيع أن يُظهر قوة التمجيد. إذًا الروح يُمجد الآب والابن. إن الذي قال: "أكرم الذين يكرمونني"[٢٣] هو بكل تأكيد غير كاذب. والرب يقول للآب: "أنا مجدتك"[٢٤]، وأيضًا: "مجّدني أنت أيها الآب، بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم"[٢٥]. وصوت الآب يجيب "مجدت وامجد أيضًا"[٢٦].

أرأيت كيف يعود المجد بطريقة دائرية بنفس التعبيرات؟ الابن يُمَجدّ من الروح، والآب يُمَجدّ من الابن، وأيضًا الابن يُمَجدّ من الآب، والابن الوحيد الجنس صار مجد الروح. كيف سيتمجدّ الآب، إن لم يكن بالمجد الحقيقي للابن وحيد الجنس؟ وكيف أيضًا سيتمجدّ الابن، إن لم يكن ببهاء الروح؟ هكذا أيضًا علي نحو دائري الإبن يتمجد. فإن كانت عظمة وبهاء الروح القدس بهذا القدر، وإن كان أي شيء حسن وصالح يأتي من الآب بواسطة الابن، فيكون الروح

---

[٢٣] اصم ٢ : ٣٠.

[٢٤] يو ١٧ : ٤.

[٢٥] يو ١٧ : ٥.

[٢٦] يو ١٢ : ٢٨.

القدس هو الذي يعمل الكل في الكل، فلماذا يحاربون حياتهم ذاتها؟ لماذا يحرمون أنفسهم من الرجاء الذي يُعطَى لكل مَن يخلص؟ لماذا يقطعون أنفسهم من الإتحاد بالله؟ وكيف سيتحد المرء بالرب، إن لم يُحقّق الروح هذا الإتحاد بالله؟ لماذا يتنازعون معنا في السجود والعبادة؟ وإن كانوا يريدون أن يخلصوا فلماذا يحولوا سخريتهم بأسم العبادة، نحو الطبيعة الإلهية التي ليست في حاجة لشيء البتة، كما لو كانوا لا يرغبون في أن يحسنوا إلي أنفسهم بطلباتهم لنوال الخلاص. إن التضرع هو ربح لك، ولا توجد كرامة لمن يحققه. لماذا إذًا تأتي إلى المحسن كما لو كنت تقدم له خدمة؟ أو ربما لا تعتبر المحسن مستحقًا لتدعوه واهب الحياة، وبينما تطلب القداسة، تُضلل الأخرين في من يهب نعمة القداسة، وبينما لا تعترف بأن له القدرة أن يهب الخيرات، فأنت تعتبره غير مستحق أن توجه له طلباتك، ولا تفكر حتى في مدي عظمة أن تعمل خيرًا، دون أن يطلب منك هذا.

الطلبة لا ترتبط في كل الأحوال بذاك الذي توجه له، لأنه من الممكن أن تطلب شيئًا ممن لا يملك هذا الشيء، الطلبة ترتبط برغبة الذي يطلب. لكن من يمنح خيرًا ما أو صلاحًا ما، يُظهِر بدون شك القوة التي يمتلكها. إذًا لماذا ترفضه، بينما أنت تنسب له العظمة والبهاء؟ أي أنه يستطيع أن يمنح كل ما هو خير، وإن كان دائمًا ما يتم هذا من جانب الذي يطلب بخداع، ويوجه لأولئك الذين لا

يمتلكون شيئًا. إن المستعبدين للباطل، يطلبون ما يريدون، حتى من الأوثان، إلا أن الطلبة لا تُضيف مجدًا للأوثان. ولأن هؤلاء المخدوعين يترجون أن يتمتعوا بشيء من تلك الأمور التي يرجونها، فإنهم لا يتوقفون عن الطلبة. أما أنت فبرغم إقتناعك بماهية العطايا الوفيرة التي يهبها الروح القدس، فإنك تحتقر الطلبة، وتلجأ للناموس الذي يأمر بأن تسجد للرب الإله، "وإياه وحده تعبد"[٢٧]، اخبرني إذًا كيف ستعبد الله وحده، وأنت تفصله عن إتحاده بالابن الوحيد الجنس، والروح القدس؟ إن هذا السجود هو سجود يهودي.

السجود بالروح والحق:

ربما ستقول أنك تضع في الاعتبار، وهذا هو مقصدك، أن اسم الآب يشتمل على الابن، حسنًا. وعندما وضعت في ذهنك الابن، ألم تضع معه الروح القدس؟ إنك لا تستطيع أن تعترض. كيف ستعترف بالابن، إن لم يكن هذا بنعمة الروح القدس؟ إذًا متى انفصل الروح عن الابن، حتى أنه عندما يُسجَد للآب، لا يشتمل هذا السجود على الابن والروح القدس؟ وكيف يفهمون هذا السجود، فبينما يقدمونه كتقدمة متميزة لإله الكل، ويمتدون به أحيانًا إلي الابن الوحيد الجنس، إلا أنهم لا يعتبرون الروح القدس مستحقًا لهذه المكافأة؟ إن البشر عادةً ما يعتبرون إنحناء المستعبدين حتى الأرض، عند استقبالهم لمن هم أكثر قوة، سجودًا. كما ظهر في حالة يعقوب أب الآباء، وأظهر

---

[٢٧] تث ٦ : ١٣.

بتواضع أنه أدنى أو اقل، من خلال هذا السجود إلى الأرض عند ملاقاته لأخيه، محاولاً تهدئة غضبه، إذ "سجد إلى الأرض سبع مرات"[٢٨]. وأخوة يوسف، بالرغم من عدم معرفتهم من هو، وعلى الرغم من تظاهره بأنه لم يعرفهم، قدموا لسلطانه كرامة السجود، من اجل منصبه الرفيع. والعظيم إبراهيم سجد لبني حِث[٢٩]، اعتقد أن الأجنبي هو الذي يُظهِر عمليًا لأبناء الوطن الأصليين الحقوق الكثيرة التي يتمتعون بها أكثر من المهاجرين. ونستطيع أن نقول أمورًا كثيرة أخرى مثل التي جاءت في الروايات القديمة، بل ومن أمثلة الحياة المعاصرة أيضًا. ترى هل فهم هؤلاء السجود علي هذا النحو؟ ألا يُعد من قبيل السخرية أنهم لا يعتقدون أن الروح القدس مستحق للسجود، الذي اعتبر إبراهيم أن الكنعانيين يستحقونه؟ أم أنهم يعتبرون السجود شيئًا مختلفًا عن هذا، حتى يكون هناك سجود يُناسب البشر، وسجود آخر لطبيعة سامية؟ كيف إذًا يرتضون السجود للروح القدس بشكل تام، ولا يقدمون له حتى السجود الذي يُقدم للبشر؟

وما هي طريقة السجود التي يعتقدون أنها تليق بالله؟ هل يعبرون عنها بالكلام، إما يؤدونها عمليًا، أم أن الطرق المختلفة للسجود تعتبر مشتركة بين البشر؟ إذًا ما هو الاستثناء بالنسبة لله؟ آلا يظهر الآن حتى لبسطاء العقول، أن الطبيعة الإنسانية لا تملك أي عطية تتناسب

---

[٢٨] تك ٣٣ : ٣.

[٢٩] تك ٢٣ : ٧.

مع بهاء ومجد الله، لأن خالقنا غير محتاج لتقدماتنا. أما نحن البشر فإن جميع تعبيراتنا عن الكرامة والمحبة الموجودة فيما بيننا تُظهِر أن الواحد أقل من الآخر، وهذا ما نعلنه نحن حين نُقدم العبادة لله، مُقدمين، كعطايا، كل ما نُقدمه نحن للطبيعة المخلوقة. إن الناس يذهبون إلى الملوك والى الحكّام من أجل ما يريدون تحقيقه من سادتهم، ولا يقدمون فقط لهؤلاء مجرد الاحترام الواجب، بل لكي يستطيعوا أن ينالوا بالأكثر تعاطفهم ورضاهم، فإنهم يتحدثون بكلام الخشوع، ويتخذون وضع السجود، ويسقطون بوجوههم علي الأرض، راغبين في نوال الرضا، ويقدمون كل ما من شانه أن يُثير الشفقة. ويفعل هذا كل من عرف السلطة التي تحكم جميع الكائنات، **فأصحاب النفوس الضعيفة يترجون أن يحصلوا من الحكام علي كل ما يتمنونه في هذا العالم، أما ذوي البصائر المتميزة فيطلبون الرجاء الأبدي الكامل، كما أن الطبيعة الإنسانية ليس لديها الإمكانية أن تعبّر عن الكرامة التي تليق بعظمة وبهاء المجد الإلهي، ولذلك نقلوا الكرامة البشرية إلى العبادة الإلهية.**

إن المعنى المحدد للسجود يكمن في الطلبة التي يرفعها المرء إلى من يترجاه بتضرع واتضاع. ولهذا فإن دانيال[٣٠] أحني ركبتيه أمام الرب، طالبًا رحمته للشعب المأسور، أيضًا ذكر الإنجيل أن

---

[٣٠] دا ٩ : ٣.

المسيح الذي حمل خطايانا[31]، والذي اخذ الطبيعة الإنسانية، قد سجد إلى الأرض وقت الصلاة وترجى الآب من اجلنا، وكان يُصلي ساجدًا. اعتقد أنه وضع قانونًا للحياة الإنسانية أن تتضع وقت الطلبة، بل على قدر ما يتضع الإنسان فإنه يكون مُستحقًا للرحمة، لأن: " الله يُقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة"[32]. ولأن:"كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع"[33]. إذًا إن كان السجود هو نوع من التوسل أو التضرع الذي يُقدم لكي يُعزز هدف الطلبة، وان الطلبة تتجه للرب الذي يهب العطايا، فما معنى هذا التشريع الجديد؟ أنا لا أظن أنهم لا يطلبوا من ذاك الذي يُعطي، أو أنهم لا يخضعون للحاكم، ولا يخدموا سيدهم، ولا يسجدوا لقائدهم. إن هذا كله يشهد للروح القدس. **إذ أنه يقود كل من له طبيعة تدبيريه، ويُحقق كل الأشياء في كل الأمور، وهو يتحكم في تقسيم المواهب كما يريد، يهب الحياة، يرحم ويخلص، يؤله ويقود إلى الله، يجعل أبناء الله يملكون مع المسيح، يمنح الملكوت، يُقيم الموتى، ويُقيم كل من سقط. يعود بكل من خُدِعَ إلى طريقه الأول، يضمن قيام كل من تعثر في شئ ما، ويقيم الذي مات في خطاياه.** ترى، هل هذه كلها أمور لا تُذكرَ، ولا تستحق الشكر؟ إذًا ليخبرونا ما هي الأمور

---

[31] مت ٢٦ : ٣٩.

[32] يع ٤ : ٦.

[33] لو ١٤ : ١١.

التي تُعد أسمى، ولا يمتلكها الروح القدس، والتي لأجلها يعتبرونه لا يستحق أن يسجدوا له.

ويُمكننا بعد ذلك أن نعرف من هؤلاء الأمر الآخر أيضًا، فعندما يسجدون للآب كما يعتقدون، هل ينزعون من ذهنهم تمامًا ذكر الابن الوحيد الجنس والروح القدس؟ أيضًا، أن يُفكر المرء في الآب، ولا يفكر في الابن معه فهذا أمر غير طبيعي، وعندما يضع في اعتباره الابن، آلاّ يشمل الروح القدس في معية الابن؟ إن رفض هذا بالكامل ونقض الاعتراف، هو أمر واحد سواء من اليهود أو من الصدوقيين الذين رفضوا الابن، ولم يقبلوا الروح القدس. غير أن مَن يعترف بأنه يشفع في كل الأحوال في كل ما يطلبه المسيحيون، فإنه يعترف بالطبع بأنه يضع في ذهنه الآب، وفي نفس الوقت يرى الإبن في الآب، واستنار من قبل بالروح القدس، لأنه: " ليس احد يقدر أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس "[٣٤]. وبناء على ذلك فإن الساجد الحقيقي، حين يهجر المعاني الوضيعة جدًا التي للهراطقة، سيُكرّم ذاك الذي يحكم، ويسود، ويتسلط، ويقدم كل الخيرات في الكون، لا من خلال الكرامة التي تُستحَق لذاك، بل بكل ما يمكن أن يقدّمه ذاك (أي الروح). **فما فعلته تلك الأرملة[٣٥]، هو أنها أضافت فلسيها إلى الكنوز المقدسة، وقد أعلن عن هذا النموذج للكرم، لا لأن مقدار المال الملقى يستحق الإعجاب، بل لأنها لم تكن تستطيع تقديم المزيد**

---

[٣٤] اكو ١٢ : ٣.

[٣٥] مر ١٢ : ٤١ – ١٤، لو ٢١ : ١ – ٤.

(قدمت كل ما لديها). إن كل ما يبتدعه البشر لكي يمنحوا كرامة ومجدًا هو أدنى من بهاء وعظمة الروح القدس، ولا يُضيفوا إليه المجد الحقيقي. إن مجده قائم في نفس الدرجة من السمو سواء كرّمه البشر أم لا. والطبيعة الإنسانية تُقدم رغبتها فقط كعطية أو كمنحة، وبالإرادة فقط يتحقق الهدف بواسطة النعمة التي يمنحها الروح القدس.

لم يكن للطبيعة الإنسانية أية قوة أخرى أكثر من إرادتها، وانطلاقها، ورغبتها. وإن كانت الإرادة تطلب أن تستجدي الإعجاب، أو تسمو بتقديم مديح لعظمة القوة الإلهية، فهي لا تمتدح الطبيعة الإلهية، وكيف تمتدح شيئًا تجهله؟ لكنها سمت بنفسها. لأن المرنم يقول: " دور إلى دور يُسبح أعمالك وبجبروتك يخبرون بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك الهج. بقوة مخاوفك ينطقون وبعظمتك أحدث ذكر كثرة صلاحك يُبدون وبعدلك يُرنمون "[٣٦]. أرأيت أن إعجاب النبي يكتمل من خلال الملامح الخارجية للطبيعة الإلهية التي نلاحظها؟ لكن القوة الإلهية المطوّبة، تظل كما هي لا يُقترب منها، وتبقى غير مرئية للأفكار. إن المرنم يتجاوز الشروحات والتعليقات الكثيرة للذهن، وقوة الكلمة، ووثبة القلب، وحماسة الذاكرة، فهذا ما يتجاوزه بالكامل ، فعلي قدر عدم قدرة الأجساد علي ملامسة النجوم هكذا هي القوة الإلهية، لا يمكن إدراكها.

---

[٣٦] مز ١٤٥ : ٤ – ٧.

إن الروح القدس قدوس بالطبيعة، محيي، لا يفنى، لا يتغير، أزلي، بار، حكيم، بسيط، مُدبر، مانح كل الخيرات. هو حاضر في كل مكان، وفي كل كائن، يملأ الأرض، وكذلك يسكن في السماء، يحل في القوات السمائية، يملأ كل المسكونة، يسكن في كل احد بحسب استحقاقه سكنى كاملة، هو مع المستحقين، ولا ينفصل عن الثالوث القدوس. يفحص أعماق الله بلا انقطاع، يأخذ على الدوام من الابن ويُرسل، لا ينفصل أو يتجزأ، ويُمجِد، وله كل المجد.

يُطلب هذا الكتاب من :

• المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت : ٢٢٤١٤٠٢٣.

E-mail opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccenter.org